العناصر الاجنبية من لبنان. لان من المستحيل وجود سلطات لعناصر اجنبية داخل دولة ذات سيادة». وبشأن انسحاب اسرائيل، اعلن هيغ لأول مرة ان الادارة الاميركية «لا تطالب الاسرائيليين بانسحاب فوري. وان الانسحاب الاسرائيلي الذي طالب به قرار مجلس الأمن الذي صوتت الولايات المتحدة مؤيدة له لم يكن النقطة الجوهرية لهذا القرار».

وبعد يومين، وبرغم وصول قوات الغزو إلى بعبدا، الأمر الذي ادخل تحولاً سياسياً نوعياً في سير عملية الغزو، اعاد الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض لاري سبيكس تأكيد الموقف ذاته: تأييد قيام حكومة مركزية قوية، الانسحاب النهائي لكل القوات الاجنبية، قوات دولية لحفظ السلام.

هذه المرة ومع لعب ماكنة الحرب الاعلامية والنفسية دوراً بالغ الاستثناء، ترافقت هذهالمطالب مع حملات ابتزاز نفسي للقوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية تدور حول تعرض بيروت للتدمير والقيام بعمليات كوماندوز اسرائيلية ضد قادة المقاومة، الخ. ويتضح حتى الآن ان لعبة شد الاعصاب هذه، لم تؤد إلى التأثير على معنويات القوات المشتركة، باجماع المراقبين، فيما اتضح ان أحد نتائجها كانت تظاهر الادارة الأميركية باهتمامها بمصير بيروت، وبالضغط على اسرائيل لمنعها من محاولة اقتحام بيروت الغربية.

هذا الموقف أدى بدوره إلى ان الادارة الأميركية حاولت ان توحي لحلفائها العرب المحرجين باستقلال موقفها عن الموقف الاسرائيلي وامكانية ان تلعب دور الوسيط لا الشريك الكامل لاسرائيل في عمليتها الهمجية، كما سمح لها ان تحاول اغراق القضية الجوهرية وهي تنفيذ قراري مجلس الأمن ٥٠٨ و ٥٠٩، بتركيز جهودها على نقل الضغوط الاسرائيلية إلى الحكم اللبناني والاطراف المعنية الأخرى، والهاء الاطراف المختلفة بهذه الضغوط، وانتزاع التنازلات منها مقابل الوعد لا بانسحاب اسرائيل الشامل بل باقناع اسرائيل بعدم اقتحام بيروت الغربية. وهو موقف وإن لم ينطل على الحركة الوطنية اللبنانية وأمل والمقاومة الفلسطينية، إلا ان الميليشيات اليمينية استثمرته إلى الحد الأقصى، لتنفيذ مخططها.

هل كان الموقف السوفياتي غير مفهوم؟

لا حاجة لتكرار وصف السياق العربي الذي جاء الغزو في ظله. لقد استثمرت اسرائيل الوضع الدولي والعربي على احسن وجه. وما دمنا معنيين هنا بالجانب الدولي فحسب، فلا بأس من الاشارة إلى ان العلاقات العربية ــ السوفياتية هي في أدنى مستوياتها منذ ربع قرن، وان حملات التشكيك والاستفزاز والحديث عن «الخطر السوفياتي»، وضرورة التنسيق مع الولايات المتحدة لمواجهته لم تكن بعيدة عن بيانات ومواقف جميع الدول العربية، باستثناء دول الصمود والتصدي.

ولا بد من الاعتراف، من الناحية الأخرى، بان الموقف الأميركي ظل فاعلاً في التأثير على مجريات الغزو، لصالح اسرائيل بالطبع، لاسباب واضحة أيضاً: تعاون استراتيجي معلن مع اسرائيل (وإن هدد بيغن بتجميده)، لجان عسكرية مشتركة مع أكثر من طرف عربي فاعل، قوات تدخل سريع على الحافة الجنوبية للجزيرة العربية، الاسطول السادس على الساحل الشرقي وعلاقات متينة مع معظم الانظمة العربية ومع اسرائيل في آن واحد، تتيح لها التدخل في أية لحظة.

مقابل هذا ما الركائز التي استند إليها الموقف السوفياتي؟ المدخل السوفياتي الوحيد للتأثير على الوضع في لبنان، كان ولا يزال معاهدة الصداقة السورية ــ السوفياتية التي ينص احد بنودها على التنسيق والتشاور بين البلدين، في حال تعرض أمن أو سيادة احدهما للخطر، كما ينص بند آخر على اتخاذ كل من طرفي المعاهدة الاجراءات اللازمة للدفاع عن أمن وسيادة البلد الآخر.

وجاء توضيح سوفياتي لتفسير بنود هذه المعاهدة في العام الماضي، حين افتعلت اسرائيل ما سمي بازمة صواريخ البقاع، حيث اعلن مصدر سوفياتي في حينها ان الدفاع عن أمن سوريا يتعدى الحدود الجغرافية ويلزم الاتحاد السوفياتي بالدفاع عن سوريا، حيثما وجدت قواتها في شكل قانوني. إذن، كان هناك مدخل سوفياتي للتأثير على الغزو الاسرائيلي، لكنه مدخل مشروط بطلب الطرف الثاني في المعاهدة للعون، وباعلانه أنه أمن بلاده يتعرض للخطر.

ومن جهة ثانية، لم يتوقع أحد أن تلجأ الشرعية اللبنانية، ممثلة برئيس الجمهورية، إلى الاعلان عن ان سيادة لبنان واستقلاله معرضان للخطر، الأمر الذي يمنح الدول الكبرى، وبخاصة الحريصة فعلاً على دعم البلدان العربية كالاتحاد السوفياتي، فرصة لتقديم العون وفقاً لمبادىء القانون الدولي.